مجلة الإحياء، المجلد 26، العدد: 38، جانفي 2026، ص - ص: 251-260
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

دور أعلام الإباضية في نشر الوعي في مساجد وادي ميزاب "الشيخ إبراهيم بيوض نموذجا"

The role of the Ibadi scholars in spreading awareness in the mosques of the M'zab Valley "The example of Sheikh Ibrahim Bioud"

طالب دكتوراه حسان سنوسي[1] أ.د/ عبد الحليم بوزيد
Abdel Halim BOUZID Hassen SENOUCI
كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة1
مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر
bouzid_a2008@yahoo.fr hassene.senouci@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2025/06/19 تاريخ القبول: 2025/10/07

الملخص:
يتناول هذا المقال دور أعلام الإباضية في نشر الوعي في مساجد وادي ميزاب، إذ نبين أهم مجهودات الشيخ بيوض الذي يعتبر رائد الإصلاح بالمنطقة. وعلى هذا المنحى نذكر ما قام به الشيخ بيوض من خلال دروسه المتنوعة في التفسير والفتوى، التي دامت سنوات عديدة ونتج عنها جمعه لتفسير القرآن الكريم في أشرطة سمعية جمعت بعد ذلك في كتاب بعنوان: "في رحاب القرآن الكريم"، وإجابة على أسئلة المستفتين حيث جمعت فتواه في كتاب بعنوان " فتاوى الإمام الشيخ بيوض، فضيلة الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، ترتيب وتقديم وتخريج بكير محمد الشيخ بالحاج، مكتبة أبي الشعثاء، السيب سلطنة عمان، الطبعة الثانية 1411هـ/1990م".
ونوصي بمثل هذا العمل من أجل التأسي بأمثال هؤلاء في اجتهاداتهم التي أصلحت المجتمع، والعمل على تطوير أساليب التوعية وتنويعها، مما يمكن من بناء مجتمع واع، متسمك بدينه ومبادئه وعلى الأخلاق والقيم الإسلامية.
الكلمات المفتاحية: مسجد؛ وعي؛ ميزاب؛ بيوض.

Abstract:
In this article, we focus on the role of prominent Ibadi figures in raising awareness in the mosques of Wadi Mzab, highlighting the significant efforts of Sheikh Bayouda, who is considered a pioneer of reform in the region. In this context, we mention Sheikh Bayouda's work through his diverse lessons in interpretation and fatwas, which lasted for many years and resulted in his collection of Qur'anic interpretations in audio recordings, later compiled into a book entitled 'In the Embrace of the Holy Qur'an.' Additionally, he responded to questions from those seeking guidance, and his fatwas were compiled in a book entitled 'Fatwas of Imam

[1]- المرسل المؤلف.

Sheikh Bayouda, His Eminence Sheikh Ibrahim bin Omar Bayouda, arranged, presented, and sourced by Bakir Muhammad Sheikh Al-Haj, Abi Al-Sha'taa Library, Seeb, Sultanate of Oman, Second Edition 1411 AH / 1990 AD.' We recommend such work in order to emulate individuals like them in their ijtihad, which reformed society, and to work on developing and diversifying awareness methods, allowing for the construction of a conscious community, committed to its religion and principles, and adhering to Islamic morals and values.

Key words : mosque; awareness; M'zab; Bayoud.

مقدمــة:

إن أطهر البقاع على الأرض وأعظمها هي المساجد، وقد أكد القرآن الكريم فضل المسجد ونسبه إلى الله عز وجل كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن 18].

من هنا جاءت العناية بالمساجد بناء وعمارة وصلاة وذكرا لله تعالى، دليلا على الإيمان وطريقا إلى الهداية، فلما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، كان بناء المسجد من الأسس التي وضعها عليه الصلاة والسلام لإقامة المجتمع المسلم، ومنه أصبح المسجد هو المحور لحياة الدولة الإسلامية وسرا من أسرار قوتها وتفوقها وتماسكها، وتوعية المجتمع في شتى المجالات.

ومن هذا المنطلق يمكن طرح بعض التساؤلات التي سنجيب عنها من خلال هذا المقال، أهمها:

- ما أهمية المسجد ودوره في حياة الفرد والمجتمع؟
- ما طبيعة التوعية الإباضية المعتمدة لدى علماء ميزاب؟
- ما أهم مجهودات الشيخ بيوض في مجال نشر الوعي لدى أهل ميزاب؟ وما أبرز مجالاته؟

للإجابة عن كل هذه التساؤلات قمت بتقسيم الموضوع إلى عدة فصول لتسليط الضوء على أحد علماء المنطقة ومشايخها في المساجد بوادي ميزاب، والتي تركت أثرا بارزا على مختلف طبقات المجتمع الميزابي.

أهمية الموضوع:

إن دراسة دور الأعلام في توعية المجتمع له أهمية كبيرة باعتبار أن غرس الوعي في وسط العامة، يحتاج إلى من هو أهل لهذه المهمة، إضافة إلى بيان أهمية الخطاب المسجدي ودوره في رفع درجة الوعي عند عموم الناس وعند أهل ميزاب خاصة، ولما عاشته تلكم المنطقة من الإصلاح كان نتيجة هذه المجهودات في أطهر بقعة من طرف أحد أكبر أعلام المنطقة وهو الشيخ بيوض، وربط الأجيال الصاعدة بعلمائها وبيان دورهم الكبير في التوعية.

والهدف العام: هو تقييم دور الشيخ بيوض في المسجد الكبير بالقرارة ومعرفة اثر خطابه المتجدد على متابعيه.

أولا- تعريف المسجد ووظيفته في الإسلام

تعريف المسجد

أ- **لغة:** المسجد (بكسر الجيم وفتحها) هو المكان أو الموضع الذي يسجد فيه، وفي صحاح الجوهري المسجد مفرد مساجد، قال الزجاج: هو كل موضع يتعبد فيه.

أما في القرآن الكريم فقد ذكرت لفظة سجد في القرآن الكريم 26 مرة بأوزان وصيغ كثيرة[1]، وكذلك لفظة فساد فقد تعددت بصيغ وأوزان كثيرة، وقد يتكرر الوزن الواحد أو الصيغة الواحدة مرات كثيرة فاقت أحيانا 21 مرة سواء في لفظة مسجد أم في لفظة فسد[2].

ب- اصطلاحا: أما المسجد شرعا فهو كل موضع طاهر من الأرض، وهذا من خصائص هذه الأمة، وقد يعرف حسب ما يؤديه من وظائف جمة بأنه: هو مؤسسة دينية، اجتماعية، سياسية، اقتصادية ويسمى حاليا ومجازا بدار العبادة، لما أتى على دوره الريادي من تقلص.

من المعروف عن المسجد هو إقامة الصلوات الخمس به بين الجماعة بالإضافة إلى صلاة الجمعة ولكن ما ورد هو أحد أدوار المسجد، وسمي مسجدا لأنه مكان السجود لله تعالى، ويطلق على المسجد أيضا اسم الجامع، وخاصة إذا كان كبيرا[3].

ثانيا: الوظيفة التوعوية للمسجد في الإسلام

يعتبر المسجد في المفهوم الإسلامي هو مكان إعلان العبودية الخالصة للخالق، وبما أن العلم في الإسلام شرط أساسي في أداء العبادة بمفهومها الكامل المتكامل، فلابد أن يقوم المسجد بدوره في نشر العلوم بحيث يصبح منارة ومقصدا علميا.

ولقد أدى المسجد دوره التعليمي منذ القدم، وحث رسول اللهﷺ على هذا الدور العلمي منوها إلى أنه من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان كأجر حاج تاما حجه.

ولو أن هذه الوسائل التعليمية المتوفرة في وقتنا هذا وجدت في عهد الرسول ﷺ لحث على استعمالها.

وأصل المسجد تطوره جيلا بعد جيل مؤديا مهامه في صناعة الحياة، ليصبح جامعات ومنارات علمية وفكرية مهمة، كجامع القرويين في فاس بالمغرب الأقصى الذي امتاز بالنظام التعليمي الجامعي وطرق التدريس فيه، وكذا مسجد القيروان في تونس وغيرهما[4].

فضعف مهام المسجد من ضعف الأمة الإسلامية، ولن تكون الصحوة إلا عندما يؤدي المسجد مهمته الشاملة، ويرتقي بأسلوبه وبالوسائل التربوية والتعليمية التي تتناسب ومتطلبات العصر، ليصبح قلب الحياة الإسلامية من جديد، وهو واجب عصري لا يتم واجب تعليم الأجيال إلا به[5].

ثالثا: المسجد في الواقع باعتباره مؤسسة مهمة وأهم جهود الشيخ بيوض

1- المسجد بين حقيقته والواقع المعاش:

لطالما حث الإسلام على كثرة بناء المساجد لتسهيل المهمة المنوطة بها، فقال صلى الله عليه وسلم: "من بنى لله مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة"[6].

وبناء على هذه التوجيهات أقبل المسلمون على بناء المساجد ووقفها، كذلك قاموا برصد أموال لتنفق على احتياجاتها المتعددة: على الأئمة والخطباء والموظفين وكل اللوازم كالأفرشة والإضاءة والترميم وغير ذلك.

وكل هذه الجهود تصب في هدف واحد هو إعداد المسجد ليمارس وظيفته التنموية الشاملة في المجتمع، لأنّ للمسجد دورا مهما في التنشئة الثقافية والفكرية والعلمية، وهذا الدور نجده متناسقا كل التناسق مع دور الأسرة والمدرسة والمؤسسات الأخرى، التي تشارك في بناء المجتمع وتنميته، فمن المسجد ينبعث الوعي الديني وفيه يعرف الحلال والحرام، وفيه تعرف فضائل الإسلام وآدابه وأحكامه، فيجد المسلم القدوة الحسنة ويتعلم ضبط النفس والصبر على الطاعات، وفيه يتعرف المسلم على تعاليم الإسلام وحثه على العلم النافع، ودعوته إلى العمل الذي ينفعه ويرتقي بمجتمعه.

فكم تخرج من المساجد والمدارس الملحقة بها من علماء برزت أسماؤهم في كافة العلوم والفنون والثقافات والحضارات، ومنهم من صار قائدا للمجتمعات في السياسة والفكر والاختراع، وكم من

الحملات التي انطلقت من المساجد لمحاربة الاستعمار والمطالبة بالحرية، ويكفي أن نشير هنا إلى أن العالم التونسي الطاهر بن عاشور أضاف مقصدا شرعيا وهو الحرية، نظرا لأن الإسلام قد حرر الكثير من الأمم والشعوب من الاستعباد والاستعمار.

فالمسجد يعتبر وسيلة هامة، وأفضل بقعة ينطلق منها العلماء وطلاب العلم لتوجيه الناس وتعليمهم وتفقيههم وحل مشكلاتهم، لذا كان المسجد منذ عهد رسول الله ﷺ الهيئة التي تصدر كل أمر يهم المسلمين في دينهم ودنياهم، وقد كان العلماء والولاة هم الذين يتصدرون الأمة من خلال المسجد. فللمسجد الفضل في حماية المجتمعات من الانحراف عن الطريق الصحيح، من خلال الاستعانة بالدعاة الأكفاء علميا ولديهم القدرة على الإقناع والتشاور والتأثير في الأخرين، والتركيز في خطب الجمعة على التوعية والإرشادات والنصائح التي تخدم المجتمع، مما يساعد في دعم القيم الإسلامية وتوجيه السلوك الاجتماعي نحو الطريق الصحيح.

2- المسجد مؤسسة مهمة في وادي ميزاب

تشير إحصائيات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف في بلادنا إلى ما يفوق ثمانية آلاف مسجد ومصلى على مستوى التراب الوطني، وباعتبار أن المسجد مؤسسة فإن عدد الأفراد القائمين عليها قد يصل إلى ستة أو سبعة أفراد بداية من الإمام الأستاذ في أعلى رتبة إلى حارس المسجد والذي يدعى القيم، ولكل دوره المحدد، غير أن نجاح وأداء وظيفة المسجد في المجتمع لا تكتمل إلا بتضافر جهود كل هؤلاء.

وعليه فالمسجد مؤسسة رسمية في الدولة الجزائرية، وجب على القائمين عليها استعادة الثقة بها ليستمر المشوار الذي أسست من أجله، ألا وهو التوعية، كما وجب على القائمين على مؤسسة المسجد ضرورة فهم طبيعة التدين لدى الفرد الجزائري وتقديسه للمسجد من خلال توعيته وتوجيهه توجيها صحيحا بالابتعاد عن النظرة السلبية تجاهه، ولأن مسببات الفساد العام ترجع بالدرجة الأولى إلى غياب الوازع الديني والأخلاقي، ونقص التوعية، وهذا من أجل إرجاع دور المسجد الريادي والحضاري في المجتمع الجزائري.

ويبقى المسجد من المؤسسات الهامة في وادي ميزاب والجزائر ككل، فهو مؤسسة تسيره وتحكمه قوانين وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وهو في وقتنا الحاضر أصبح غير قادر على القيام بدوره لوحده على أكمل وجه، ولابد من تكاتف كل جهود المؤسسات المختلفة بما في ذلك المؤسسات التربوية والتعليمية والجمعيات والمجتمع المدني للوقوف ضد كل ما يعيق التوعية والتحسيس في وقتنا هذا، وهذا هو الدور المنتظر من مساجدنا التي لا تزال في أمس الحاجة إلى التطوير والاهتمام والعناية.

3- جهود الشيخ بيوض في نشر الوعي في مساجد ميزاب

يعد المسجد عند الشيخ بيوض مؤسسة اجتماعية لا تضاهيها في الأهمية مؤسسة أخرى لأنه المكان الذي يجمع كل الشرائح الاجتماعية، رجالا ونساء، شيوخا وشبابا، تشع منه الروحانية والطهر، فيكون للكلام أثر في النفوس، فأضحى المسجد في فكر الشيخ بيوض هو أفضل مكان لتبليغ الدعوة ونشر الوعي بين الأهالي، فالمسجد همزة وصل بين باقي مؤسسات المجتمع(7).

وأول هذه المؤسسات أهمية هي مؤسسات التربية والتعليم لأنّها تهيء الأجيال لجو المسجد الذي يدعو إلى الاستقامة على الأخلاق، وتحن حشود المصلين إلى الإقبال على المساجد فيحصل التأثر ويتربى الجيل على الاقتداء بهم. كما ربطت كل مكونات المجتمع من عشيرة وأسرة بالمسجد لتستمد منه المنهج الروحي في الدعوة والأسلوب في نشر الوعي بين الأفراد.

يصف في هذا الشأن الدكتور محمد ناصر بوحجام عمل الشيخ بيوض في تحقيق هذه الفكرة بأنه كان يهتم كثيرا بربط كل المؤسسات التربوية والاجتماعية والثقافية، التي تسهم في تكوين النشء وترقية المجتمع، كان يهتم كثيرا بربط كل ذلك بالمسجد، ويركز على تمتين الصلة بينها وبين المسجد في التخطيط والعمل(8).

ثم تنتشر بعد ذلك العلاقة بين المسجد والمجتمع لتتغلغل في المجال الحيوي للناس في حياتهم المهنية والاقتصادية، بتنظيم الأسواق وتبيان الأحكام الشرعية للمعاملات في التجارة من خلال تحسيس وتوعية الناس بالعلاقة بين الدين والدنيا. هكذا فُعل دور المسجد، وأصبح يقوم بنشاط مستمر من خلال دروس علماء ميزاب طوال السنة للتمكن من نشر فكرة الإصلاح والتغيير والتنوير بين الناس، ومحاربة الكثير من البدع والمعتقدات الفاسدة والتقاليد البالية والمتطرفة.

كما قام بتنوير عقول أهل البلدة وحبب إليهم العلم، ودفع الناس إلى العمل والنشاط، والأخذ بالأسباب في عمارة الدنيا، والتنافس على فعل الخيرات، والإسهام في التبرعات والصدقات وتمويل المشاريع.

عالج الشيخ بيوض في دروسه هذه مختلف المواضيع الاجتماعية التي كانت هناك حاجة لطرحها ومناقشتها وتوضيح المفاهيم حولها وتصحيحها والقضاء على انحرافاتها، فاستبدل بها الصلاح والرشاد والوعي والتنوير.

كما كان الشيخ بيوض يعنى بالمناسبات الدينية، ويعتبرها الفرصة السانحة لنشر دعوته، ويستعد لها، ويحضر المواضيع المهمة، ويركز في دعوته وخطاباته على غرس أفكاره وقناعاته في نفوس سكان بني ميزاب، ومن خلال وصف الشيخ بيوض أجواء المساجد في هذه المناسبات الدينية نجد أنه في هذه المواسم تمتلئ بيوت الله أكثر من الأيام الأخرى، والمصلون يكونون في مثل هذه المناسبات أكثر اهتماما بالدروس المسجدية بسبب تفرغهم للعبادة ، ويجدون حلقات القرآن الكريم تتلى ومواعظ تلقى، فتجد الآذان صاغية لمثل هذه التوعية، بإسقاط الشيخ بيوض دروسه على الواقع المعاش(9).

ويضيف الشيخ عن دروسه المسجدية بمناسبة ليالي شهر رمضان فيقول: "أطرق كل ليلة من ليالي رمضان الباقية موضوعا أخلاقيا مهما يتصل بالمجتمع العام... وفي دروس رمضان أعتني بالأسرة ومشاكلها، وأسباب صلاحها وهنائها، فأتحدث عن حقوق الوالدين، وحقوق الأبناء، وحقوق الأزواج، وعلاقة الأصهار بأصهارهم، ومحاولتهم إفساد الزوجة على زوجها والعكس... وأعتني في دروس رمضان كل الاعتناء بالفواحش: الخمر والزنا والسرقة والقمار وأكل الربا وغير ذلك، أشرحها شرحا فلسفيا أبين مضارها الكثيرة لمرتكبيها وللمجتمع"(10).

بالإضافة إلى كل هذه المجهودات الدعوية في مختلف المواضيع المتعلقة بانشغالات المجتمع، أولى الشيخ بيوض عناية خاصة لمصدري التشريع الإسلامي القرآن والسنة، فاشتغل بهما مفسرا لمعانيهما، ومستنبطا لأحكامهما، ومربيا للمجتمع على أخلاقهما ومبادئهما. فقام بشرح مسند الربيع بن حبيب للشيخ نورالدين السالمي؛ معتمد الإباضية الأول في الحديث، وبعد الانتهاء منه فتح تدريس كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني وأمضى معه مدة أربع عشرة سنة.

ويقول الشيخ عدون شريفي أحد شهود عيان هذه الدروس عن أثرها في طلبة معهد الحياة التي كانت موجهة لهم بصفة خاصة وكانوا ملزمين بحضورها: "بهذه الروح العالية في هذه الدروس الغالية، علمهم كيف يقدسون كلام من لا ينطق عن الهوى وكيف يقدمونه على كل كلام سواه، وعلمهم كيف

يبحثون مع الباحثين ويخوضون مع الخائضين، ويستخرجون الجواهر من بحر السنة... علمهم كيف يسايرون علوم الدين العليا ويشاركون فطاحل علماء الإسلام في آرائهم ومباحثهم"[11].

وتدريس الشيخ بيوض للحديث النبوي وللسنة بالاعتماد على مصادرها وعلى شروح رجال الحديث كابن حجر، له أكثر من بعد في نفوس طلبته في معهد الحياة، وفي حلقاته المسجدية لعموم الناس من معرفة مكانة السنة من القرآن ومن التشريع الإسلامي، وبيان كيفية استنباط الأحكام، والقدرة على مناقشة أقوال العلماء والاستفادة منها، ولا شك أن الشيخ قد خاض مع طلبته في النقاشات العلمية المحتملة في هذه الأحاديث، وهو يدربهم على فهم كلام النبي ﷺ، واستخلاص الأحكام والفوائد منها.

بعد هذا العطاء والجهود الدعوية على منبر المسجد وكرسي معهد الحياة، وفي الإصلاح بين الناس، وتحمل أعباء المجتمع والإمامة، وبهذا التمكن من العلوم الشرعية واللغة العربية التي تؤهله لدخول غمار تفسير كتاب الله تعالى، توج مسيرته الدعوية بافتتاح درس التفسير الذي استمر لمدة خمس وأربعين سنة.

تهاطلت عليه الدعوات من طلبته ومن المشايخ في وادي ميزاب لأجل الشروع في تفسير القرآن الكريم كاملا، فشرح الله صدره لهذا العمل الكبير. فبين الشيخ بيوض غرضه من تفسير القرآن الكريم أن الهدف الأكبر هو تربية الناس بالقرآن وتثقيفهم ومعالجة أمراض النفوس كلها بالقرآن.

إن الهدف التربوي الاجتماعي هو الهدف المنشود من تفسيرات الشيخ بيوض، فهو يؤكد أن القرآن نزل ليكون شفاء للمسلمين من أسقامهم وأمراضهم المختلفة، وأن المجتهد هو الذي يتولى تشخيص الداء والبحث عن الدواء في صيدلية القرآن الكريم[12].

إن الغاية من الطريقة التي اتبعها الشيخ بيوض في دروسه أثناء تفسير القرآن الكريم بالمسجد الكبير بالقرارة توعية الناس، فأصبحت طريقته هذه تنشر الرشد في وسط الناس منذ البداية، ففي كل جلسة تفسير يستخرج المواعظ والعبر ومكارم الأخلاق من الآيات الكريمة التي يشرحها، بل ويقوم بإنزالها على الواقع المعاش وعلى الأحداث التي تنتشر في تلكم الفترة فيجد لها العلاج المناسب.

وكان الشيخ بيوض يستعين في تفسيره بالكتب التي فسرت القرآن الكريم قبل ذلك، وكيفية نشر الشيوخ القدامى الوعي في وسط مجتمعهم ومن بينهم الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا، وهذا ما لمح إليه الشيخ بيوض في أحد جلساته منها استخراج معاني الآيات والفوائد والمواعظ والعبر.

فكان أثر دروس التفسير على المجتمع كبيرا، لا يمكن حصرها في فئة أو منطقة أو عشيرة، ويشهد بذلك أولئك الذين يحضرون تلكم المجالس العلمية التي رفعت مستوى الثقافة الدينية عند المتابعين لها. وبلغ تأثيره خارج القرارة في وادي ميزاب حتى ببعض المناطق خارج ولاية غرداية، حتى أصبح المسجد يعج بالرواد أثناء دروس التفسير، فكان خطابا جديدا هادفا يستهوي السامعين وينشر الوعي في أوساطهم.

يتحدث الشيخ بيوض قائلا عن آثار دروسه التفسيرية: "إنني أحمد الله تبارك وتعالى على النتيجة التي شاهدتها من أثر القرآن في نفوس العامة... إنّ البلدة كلها مجندة للعمل في كل ميدان، ما دعا أحد إلى عمل إلا وأجاب، إذا دعي إلى كال أعطى، وإذا دعي إلى وقت أعطى من وقته وجهده"[13].

كان الشيخ بيوض يهدف من خلال دروسه تغيير واقعه والنهوض بأمته فتميزت دروسه التي ينشر الوعي من خلالها بالواقعية وظفها فيصال أفكاره في تحقيق التغيير.

لأنّ فقه الواقع له دور أساسي في نشر الوعي، حيث كان خبيرا بواقعه الذي هو ميدان إصلاحه وكان يوجه طلبته إلى ظروفهم الواقع، فهدف الشيخ من دروس التفسير وغيرها تغيير وإصلاح واقع

الأمة، منتهجا في ذلك أسلوب الإقناع، وتقريب المفاهيم من أذهان المخاطبين على اختلاف مستوياتهم، مسقطا النصوص الشرعية على الواقع المعاش، سعيا لحل القضايا الراهنة بإرجاعها إلى أصولها الإيمانية، حيث اتسم خطاب الشيخ بيوض بالواقعية فكان يركز في الحديث على قضايا العقيدة التي تتعلق بآثار عملية للجانب التعبدي أو الحياتي، ويعالج من خلالها صور الفساد التي مست المجتمع، مستثمرا أحداث العالم وأخباره التي يتابعها، وقال الشيخ بيوض عن نفسه بمناسبة تطرقه إلى علاج إحدى القضايا الاجتماعية: "خذوا هذه الحكمة ممن قضى نصف قرن في حل المشاكل..."[14].

وذكر الشيخ بيوض أنّه عاين طقوس القبوريين فزار زاوية سيدي خالد، ورأى فيها من المنكرات وهذه الزيارة الميدانية تقوي عنصر الواقعية عند الشيخ بيوض، التي تعينه على حل مشاكل الحياة، وكان يحدد عنوان الدرس بناء على حادثة في شؤون الشريعة أو الحياة وقعت هنا وهناك، ويستوحي دروسه من الواقع لإصلاحه.

ولا يخفى على أحد ما يشهده واقع المسلمين من مشكلات عقدية كالولاء للغرب والتنصير... إلخ، إلا أن كثيرا من الدعاة انشغلوا عن علاجها بالاشتغال بالخلافات الداخلية الوهمية.

وأيضا حرص الشيخ بيوض على نشر دعوته والحديث مع الناس بما يفهمونه، كاستعمال الأمثلة من الحياة الواقعية وتوظيف علوم العصر، وبهذا المنهج المبسط عرض الشيخ بيوض الإيمان وأركانه وربط به قضايا عصره.

فخاصية الواقعية تمكن المتلقي من فهم معاني العقيدة الإسلامية، فقد كان الشيخ بيوض يهتم بإسقاط الآيات المراد تفسيرها على أرض الواقع قصد إصلاح صور الفساد المتواجد في محيطه مجتهدا كل الاجتهاد في ربط القضايا الواقعية بأصولها الإيمانية.

إضافة إلى توعية المصلين وترغيبهم في الدراسة وتشجيعهم على الجد والاجتهاد، وتقديم كل مقومات الحياة من أجل الوصول إلى أعلى المراتب في العمل الصالح، والتطوع في النشاطات الخيرية ماديا ومعنويا، ومن أهم المواضيع التي تطرق إليها أثناء دروسه القضايا الاجتماعية والتي اقترح لها حلولا من أجل القضاء على أسبابها بعد شرحها وتحليلها وتبيان أضراها ثم يصل بها إلى حلول مناسبة تقضي على جذور المشكلة، كل ذلك يكون بالنصح والإرشاد والتوعية.

لأنّ من أهداف الشيخ بيوض الإصلاحية مقصد تحقيق الوحدة الإسلامية، فدعا إليها في دروسه وحققها في مواقفه، فهو يؤمن بوجوب وحدة الأمة، كما كان يحرص كل الحرص على توحيد الصف حرصه على توحيد الرب، فقد كان يرى أنّ من مكملات إيمان العبد لم الشمل ورأب الصدع وتأليف العناصر.

يرى الشيخ بيوض أنّ من أسباب جمع شمل المسلمين وتوطيد روابطهم قيامهم الجماعي بشرائع الدين، كصلاة الجماعة والحج والصوم، واصطلح عليها "فتنة التشريع" التي يبتلى بها صدق الإيمان، فلو فرضنا أن الإيمان هو مجرد قول: لا إله إلا الله فقط من غير تشريع مطلقا فلا يمكن أن تكون جماعة مسلمة، فوحدة المسلمين وتراصهم وتعاونهم تظهر عند أداء شرائع الدين، ولهذا ألح الشيخ بيوض على المسلمين أداء صلاة الجماعة في بيوت الله بغض النظر عن مذهب القائمين بشؤونها.

أما مسألة الصوم والإفطار - مثلا - اعتبرها مبدأ الوحدة الإسلامية، فأفتى بجواز الصوم والإفطار بالحساب الفلكي تثبيتا لاتحاد الأمة، ودفعا للشقاق والتفرقة الذي كان يحصل في الأعياد ورمضان بالاختلاف في رؤية الهلال.

اتسعت مسائل العقيدة وتجاوزت ما كان مألوفا، ومن خصائص هذا المنهج العقدي عند الشيخ بيوض ضبط مسائل الاعتقاد التي يجب على المؤمن أن يعتقدها ويكون له موقف ثابت فيها، فعمل جاهدا على حصر المسائل في القضايا الإيمانية التي تسند إلى أدلة قطعية الدلالة والثبوت من الكتاب والسنة.

ومن أبعاد هذا المنهج العقدي:

- بناء الاعتقاد على أصل يقيني، حذر أن يعتقد في شيء أنه مراد الله وهو في الواقع غير ذلك.
- المحافظة على الوحدة الإسلامية بتضييق مجال الاختلاف وسد أبواب النزاع.

إن المتفحص لتراث الشيخ بيوض العقدي يستشف فيه ترفعا كبيرا عن التعصب لمذهبه الإباضي وأنّه كان ينشر دعوة الحق.

وبهذا أضحى المسجد محرك نشر الوعي والتحسيس بين شرائح المجتمع المختلفة وقائدها نحو التطور والازدهار.

خاتمـة:

تناولنا في هذا المقال "دور أعلام الإباضية في نشر الوعي في مساجد وادي ميزاب: الشيخ إبراهيم بيوض نموذجا" وحاولنا تبيان دور أحد أعلام الإباضية في نشر الوعي بالمسجد الكبير بالقرارة من خلال نشاطه الدؤوب به فتوصلنا إلى جملة من النتائج أبرزها:

- يعد الشيخ إبراهيم بيوض المدرسة التي تخرّج منها رجال الإصلاح في وادي ميزاب، وسخّر كل وقته لتوعية وتكوين الرجال والاعتناء بقضايا المجتمع وحل مشاكلهم، استمر الشيخ بيوض في دروس التفسير لكتاب الله عز وجل وواضب عليها، إذ كان يقوم بتوعية المجتمع في مختلف قضاياه الراهنة، وأهم ما تركه تفسيره القيم لكتاب الله ، وهو مسجل عبر أشرطة سمعية ، جمعها الشيخ عيسى بلحاج بعد ذلك في كتاب بعنوان "في رحاب القرآن الكريم"، إضافة إلى إجابات عن أسئلة وانشغالات أهل المنطقة، هي عبارة عن فتاوي جمعها بكير محمد الشيخ بلحاج في كتاب بعنوان" فتاوى الشيخ بيوض" طبعت بمكتبة أبي الشعثاء بسلطنة عمان.
- وتميزت أيضا العملية التوعوية عند الشيخ بيوض في المجال العقدي بتصحيح الأفكار الخاطئة، والمعتقدات الفاسدة مستفيدا من اجتهاد علماء الإصلاح، فاجتهد في توعية أهل المنطقة لتصحيح الجانب العقدي من جهة.
- من جهة أخرى ساهم الشيخ بنشاطه هذا في رفع درجة الوعي بوادي ميزاب والانتقال بهم من العادات والتقاليد البالية المخالفة للدين إلى التفقه فيه، وطرح قضايا المجتمع وربطها بالواقع، فتوسع التفكير والتعامل مع الإشكالات المطروحة وإيجاد الحلول لها.
- فأصبح الشيخ بيوض يطرح دروسا وفتاوى عن القضايا العامة التي تشغل الناس في المسجد، والإجابة عنها، وحق لنا أن نقول بأن أفضال الشيخ بيوض على وادي ميزاب أفضال عظيمة، حيث مثلت أسس الإصلاح في المجتمع.

ونوصي في ختام هذا البحث الباحثين المتخصصين بـــ:

- العناية بالجهود الدعوية والإصلاحية لعلماء الجزائر عامة وجهود الشيخ بيوض خاصة.
- عقد ملتقيات وندوات دولية ووطنية تتولى استكشاف جهود علماء الجزائر في نشر الوعي في مختلف مناطق الوطن.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم
1. محمد ناصر بوحجام ،بيوض، المجتمع المسجدي، نشر جمعية التراث القرارة غرداية، ط19، 2015م.
2. محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة، المطبعة العربية، غرداية، ط1، 1969م.
3. شريفي، نص من خطبة ألقاها في حفل تكريمي للشيخ بيوض بمناسبة ختمه للشرح، منشورة ضمن كتاب بوحجام : الشيخ بيوض المصلح المربي.
4. صالح بن ناصر الخزيم وظيفة المسجد في المجتمع، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، 1419هـ.
5. فخر الدين الرازي، التفسير الكبير ،ج1، تحقيق وتعليق عماد زكي البارودي، القاهرة، المكتبة التوفيقية.
6. قرقب الإمام إبراهيم بيوض، رائد الحركة الإصلاحية في الجنوب الجزائري .
7. البعد الإصلاحي للقصة القرآنية من خلال تفسير "في رحاب القران الكريم"، مجلة المعيار، مجلد 23، عدد46، 2019م.
8. محمد الغزالي في موكب الدعوة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،ط 4،أغسطس 2005م.
9. محمد الغزالي، الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، دار الهدى الجزائر.
10. محمد فؤاد عبد الباقي المعجم الفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، دار الحديث، 1422هـ/2001م.
11. ناصر حلقة العزابة.
نص حديث الشيخ إبراهيم بيوض في ندوة للإذاعة والتلفزيون الجزائري سنة 1980م، منشور ضمن كتاب:في رحاب القرآن محاضرات مهرجان ختم تفسير الشيخ بيوض للقرآن الكريم، نشر جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، 1980م..

الهوامش:

[1]- انظر على سبيل المثال: فخر الدين الرازي، التفسير الكبير،ج1، تحقيق وتعليق عماد زكي البارودي، القاهرة، المكتبة التوفيقية، ص 211.

[2]- محمد فؤاد عبد الباقي المعجم الفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، دار الحديث، 1422هـ/2001م، ص 423/422.

[3]- صالح بن ناصر الخزيم وظيفة المسجد في المجتمع، ط1، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1419هـ، ص 4.

[4]- صالح بن ناصر الخزيم، وظيفة المسجد في المجتمع، مرجع سابق، ص 659

[5]- صالح بن ناصر الخزيم، المرجع السابق، ص 40

[6]- متفق عليه.

[7]- بيوض: المجتمع المسجدي، ص55-82

[8]- بوحجام: الشيخ بيوض المصلح المربي، ص79

[9]- دبوز أعلام الإصلاح، ج3، ص 120

[10]- المرجع نفسه، ج3، ص120-122.

[11]- شريفي، نص من خطبة ألقاها في حفل تكريمي للشيخ بيوض بمناسبة ختمه للشرح، منشورة ضمن كتاب بحجام: الشيخ بيوض المصلح المربي، ص 104.

[12]- قرقب الإمام إبراهيم بيوض ، رائد الحركة الإصلاحية في الجنوب الجزائري ، 118-136. سكحال: الشيخ بيوض ومنهجه في الإصلاح، ص 88-90.

[13]- نص حديث الشيخ إبراهيم بيوض في ندوة للإذاعة والتلفزيون الجزائري سنة 1980م، منشور ضمن كتاب: في رحاب القرآن محاضرات مهرجان ختم تفسير الشيخ بيوض للقرآن الكريم، نشر جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، 1980م، ص 80.

[14]- محمد الغزالي، الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، دار الهدى الجزائر، ص 169-170.